المحاضرة الثالثة : فرح أنطون وجهوده الفكرية

ولد فرح أنطون في طرابلس لبنان عام 1874 ،وفي الثانية عشرة من عمره، دخل معهد كفتين ومكث به أربع سنوات آخذا الكثير من معارفها ، ولا سيما من اللغة الفرنسية وآدابها،من شهادات بعض أساتذته وزملائه أنه كان ذكياً، مدمناً على القراءة، واثقاً من نفسه.

وبعد تخرجه من معهد كفتين في العام 1890 تابع التحصيل في بيته عبر قراءات فرنسية غزيرة، بحيث اطلع على الآراء السياسية والاجتماعية والفلسفية والاقتصادية لأهم المفكرين، أمثال روسو في "العقد الاجتماعي"، وكارل ماركس في "البيان الشيوعي" و "رأس المال"، وأرنست رينان في "تاريخ السيد المسيح" وجول سيمون في "حل المشاكل العمالية"، وفريدريك نيتشه في "مفهوم الرجل المتفوق"، وليون تولستوي في رائعته "الحرب والسلام".

مؤلفاته:

روايات فلسفية اجتماعية هي:

- أورشليم الجديدة أو فتح العرب بيت المقدس.
- الوحش الوحش أو سياحة في أرز لبنان، وتدور حول رحلة قام بها كليم وسليم في لبنان من قرية قلحات التي تقع فوق مدينة طرابلس الشام إلى الحدث فالأرز، وتعالج مشكلات اجتماعية وخلقية.
- المدن الثلاث أو "الدين والعلم والمال" وهي أقرب إلى "البحث الفلسفي الاجتماعي في خلائق المال والعلم والدين" وهو ما يسمونه في أوروبا بالمسألة الاجتماعية. وهي عندهم في المنزلة الأولى من الأهمية لأن مدنيتهم متوقفة عليها.
- مريم قبل التوبة أو العالم الجديد. وهي رواية اجتماعية غرامية تاريخية مات فرح ولم يتمها.

- الحب حتى الموت. وهي رواية أدبية اجتماعية غرامية جرت حوادثها في أميركا ومصر والقدس الشريف وطرابلس الشام ولبنان. ونشرها فرح متسلسلة في السنة الأولى من الجامعة العثمانية.

<u>الروايات المترجمة :</u>

- الكوخ الهندي لبرناردين: موضوعه البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق إليها. ونشرت في الجامعة غير تامة.
- بولس وفرجيني. لبرناردين.
- أتالا لشاتوبريان، وهي "أجمل وأشهر رواية فرنسوية بشأن أميركا" تصف البلاد الأميركية وطبيعتها الجميلة وقبائل هنودها بأسلوب رائق وغزل رقيق وغرام بالغ منتهى الشغف.
- ثلاث روايات عن الثورة الفرنسية لديماس: وهي نهضة الأسد– وثبة الأسد– فريسة الأسد. وهي: "تفصيل حوادث الثورة الفرنسية الكبرى التي تحسب أعظم عمل سياسي واجتماعي عمل في هذا القرن يتخللها ذكر أعظم الرجال الذين عاصروها وما صنعوه فيها من الكبائر والصغائر والحسنات والسيئات مع وصف الحالة الاجتماعية قبلها وذكر أسبابها وسيرها وما كان من نتائجها."
- ملف لمكسيم غوركي. نشرها بعد عودته من أميركا إلى مصر واستقراره في القاهرة. أبطالها صيادون متشردون وفيهم امرأة ساقطة "هي أهم شخص في الرواية" ولم يتم نشرها بالكامل بسبب توقف الجامعة نهائياً.

المباحث التي ترجمها أو لخصها فهي:

- تاريخ المسيح لرينان، هو جزء من تاريخ أصل الديانة المسيحية المؤلف من خمسة أجزاء: تاريخ حياة المسيح– تاريخ أعمال الرسل– تاريخ حياة القديس بولس–

المسيح الدجال- وكتاب آخر. وقد أوجز فرح هذا الكتاب على صفحات الجامعة (1901.

- المرأة في القرن العشرين، لجول سيمون. نشر بعض فصول منه في الجامعة بإذن مؤلفه.
- السماء وما فيها من الأجرام ، ترجمه عن العالم الفرنسي فلاماريون..
- رائد.. من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

هرب إلى مصر بعد الإضطهاد العثملني له، فعمل صحفياً و بدأ فرح انطون الكتابة في "الاهرام" و"الهلال" و" المقتطف" ثم أنشأ مجلة" الجامعة العثمانية" ذات النزعة الفلسفية الاجتماعية التي رفعت شعار الاصلاح الفكري والاجتماعي ، عرض مسرحية صلاح الدين و ملحمة أورشليم التي تتكلم عن دعوة صلاح الدين لتحرير القدس، لكن منعت هذه المسرحية من العرض.

كما أنشأ مجلة (السيدات والبنات) تعنى بالجانب النسائي وأهمية تعليم المرأة وتحريرها ، ثم سافر إلى نيويورك بدعوة من ابن عمه "لإنشاء مركز صحفي واسع النطاق لبث المبادئ الحرة" في العام 1905،

<u>فكره التنويري و مفهوم العلمانية:</u>

كان فرح أنطون يمتاز بكونه روائي عبقري ، وكاتب صحفي سياسي و إجتماعي، و مسرحي مبدع، اهتم دون غيره من رواد النهضة بفكرة التسامح وحاول التأسيس النظري لهذا المفهوم، ونشره من خلال رموز الفن الأدبي وتمثيلات القص الروائي. ولذلك كانت روايته "أورشليم الجديدة" رمزية لمفهوم التسامح وإعادة قراءة لأحداث التاريخ من خلاله، لم تفترق رواية "الدين والعلم والمال " عن" أورشليم الجديدة"--- في التمثيل لأفكار التسامح ، وقد وجد ضالته في الاداب الفرنسية ، فنهل منهاأعمال" روسو" و" رينان" و" فكتور هوغو" و" فولتير" و"منتسكيو" وغيرهم ،.

كان يؤمن بالاشتراكية منظر لها في الفكر العربي ، فقد فرق بين الماركسية و الإشتراكية اليوتوبية في إنجلترا التي وجد فيها نموذجاً، علما بأن كلمة الإشتراكية وجدت قبله بعشرين عاماً، حيث كانت مجلة المقتطفات تفرق بين الإشتراكيين و الشيوعيين في نهاية القرن التاسع عشر.

كان فرح انطون ينادي في جملة أفكاره لاإنفتاح على العلم والمعرفة ، رافضاً التعصب والانغلاق، ومنحازاً الى الانسان وقضاياه ومؤمناً به وبقدراته.وكان داعية للخير والأصلاح والتسامح الديني والسياسي والاجتماعي بين الأديان والشعوب والأمم والحث على فصل الدين عن الدولة وتحرير المرأة واحترام العقل ، والنهوض والرقي بالمجتمعات العربية .

وقد أثارت كتابات فرح أنطون الجريئة، وأفكاره النيّرة، عدداً رجال الدين المسلمين والمسيحيين، فكتبوا منتقدين فكره، متهمينه بالإلحاد والعلمانية ، تعرض لهجوم لاذع من قبل رجال الدين. وحمل عليه الأب لويس شيخو (1859 – 1927) لأنه ترجم كتاب الفيلسوف الفرنسي آرنست رينان "تاريخ المسيح".

يرى فرح أنطون أن الاتحاد يحقق التقدم والرقي، ولا يكتفي بالتغني بالماضي". لذلك اعتبر فرح أنطون أن المدنية الغربية، بمفاهيمها وشعاراتها ومنجزاتها العلمية، هي المثال، الذي يجب أن يحتذى اذا ما أريد للمجتمعات العربية أن تنهض من تخلف وتقهقر، وقد كانت فكرة العلمانية في الأساس متعلقه بفلسفة إبن رشد ولهذا كانت المناظرة الدينية أو الفلسفية بين محمد عبده وفرح أنطون البداية لهذه الإنطلاقة والهدف إحداث نهضة عن طريق فصل الدين عن الدولة وتبين قيم العلمانية، نجد أن ابن رشد وفرح أنطوان هما من أوائل منظري الفكر العلماني العربي ، والحث على التأكيد على أن العقل هو أساس كل نهضة، و لابد من فصل السلطة الدينية عن المدنية من أجل إستقلالية القرار الوطني، ومجارة تيار التمدن لنهضة البلاد بعدما لحق بها من ضرر بسبب مزج الدين بالدولة.

تبدأ علمانية فرح انطون مع ابن رشد , لقد تأثر بفكر إبن رشد خاصة منها ما يتعلق بالنبوة , وقد جاءت افكار فرح انطون كمحصلة للتفاعل بين الفكر العربي الاسلامي القديم وخاصة فكر ابن رشد ومفاهيم العصر الحديث , وقد علق فرح انطون على قول محمد عبده إن القرآن قد فصل بين السلطتين بقوله (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .

يستند نشاط العقل إلى الملاحظة والاختبار وحقله هو العالم أما القلب فيعتمد على القبول و التصديق بما جاء في الكتب المقدسة ،ويبرر أنطون نظريته للدولة من خلال الفصل بين السلطة الزمنية و السلطة الروحية بما يلي :

1- إن اهداف السلطتين الزمنية والروحية مختلفة ومتناقضة , فالسلطة الروحية تهدف للعبادة والفضيلة ،وقد كان طبيعي أن السلطات الدينية إذا كانت سلطات زمنية أن تضطهد الذين يخالفونها وخاصة المفكرين أما غاية الحكم هي صيانة الحرية في حدود الدستور , لذلك يفترض أن لا تضطهد الحكومات غير الدينية الناس بسبب ارائهم .

2- المجتمع الصالح يقوم على مساواة مطلقة بين جميع أبناء الأمة .

3- السلطات الدينية تشرع للأخرة .

4- الدولة التي تسيطر عليها من قبل الدين ضعيفة بطبيعتها وتسبب الضعف في المجتمع لأنها تعمق الفرق بين الناس كما أن الجمع بين الدين والسياسة يضعف حتى الدين نفسه ويعرضه للأخطار .

5- الحكومات الدينية تؤدي إلى الحرب ولما كان الولاء الديني قويا بين الجماهير فمن الممكن أن يثير المشاعر.

اعتمد انطون في دعوته إلى الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية على ثلاث قواعد:

1- إن الفلسفة المدنية الأوروبية وفكرتها العلمانية تجد اصولها في فلسفة ابن رشد حول العقل .

2- يجب أن يكون العلم محل الدين كقاعدة للسياسة والدولة وليس كقاعدة للأخلاق .

3- إن غاية الحكم هو صيانة الحرية البشرية في حدود الدستور ويحمي المجتمع الفصل بين الديني والدنيوي وهذا يحمي المجتمع الموحد من اخطار تدخل رجال الدين .

خاتمة

لم يجن فرح أنطون مالاً ولا مجداً من وراء عمله وأعماله.. عاش مضطهداً غريباً مسافراً ناقلاً مجلته "الجامعة" من الإسكندرية الى نيويورك ثم الى القاهرة. فمات مكموداً عن 48 عاماً، أعطى خلالها انتاجاً ضخماً ومنوعاً.

من هنا يتضح أن فرح أنطون لم يكن ملحداً، ولم يكن ضد الأديان.. وانما كان رجلاً مؤمناً، ومنفتحاً في الوقت ذاته.. يأخذ بجوهر الدين ويرفض القشور والخزعبلات، كما يرفض التعصب.. انه داعية لفصل الدين عن الدولة. فالدين لله والوطن للجميع، و لإعمال العقل، الذي يميز الإنسان عن الحيوان. وانه لمن الواضح الجلي أن فرح أنطون كان يقول بالتسامح الديني، ولكنه يفرق بين الإلحاد والتسامح.. ويؤمن بالدين، وبالدور الذي يلعبه في ترقي الشعوب، شرط أن لا يؤدي الدين الى نفي العقل.. "فالدين معاملة، والدين يدعو الى الفضيلة، وهذا شيء مهم للمجتمع البشري شرط أن لا نخلط بين الدين والوطن، فالدين لله والوطن للجميع."